

في بلاد اليمن

يعرف الناس عن بلاد العرب أنها بلاد صحراوية جافة ، يندر بها المطر ولا ينتظم سقوطه ، وتقل فيها النباتات ، ويصعب استنباتها إلا حول العيون والآبار ، ويشغل أهلها بالرعى والانتقال وراء الابل والأنعام ، سعيًا إلى مواطن الكلاء والمرعى ، ويعمل فريق منهم في النقل التجاري على طرق القوافل ، حيث تتباعد المسافات ، ويشق السفر والانتقال إلا على الجمال وحداتها من رجال البادية الأشداء . والصورة العامة التي تحضر الذهن عندما نسمع اسم الجزيرة العربية أنها يبداء شاسعة ، تنتثر مواطن الكلاء في بطون أوديتها القليلة ، ولا تثمر تربتها الرملية غير النخيل وقليل من الحب أو الثمر ، ويعيش أهلها عيشة البدو والأعراب ، في بيوت من الشعر أعدت لينقل بها أصحابها خفيفة فوق ظهور الجمال ، ولا تستقر الحياة فيها ولا تتركز إلا في واحات قليلة هنا وهناك .

ولكن الذي يدرس الجزيرة العربية يجد أن هذه الصورة لا تصدق إلا على مناطق معينة من تلك البلاد الشاسعة . وهي تصدق بصفة خاصة على المناطق الداخلية والوسطى من شبه الجزيرة . أما في الشمال فهناك ما يعرف بالهلال الخصيب ، وقد اشتهر بأنه موطن المدنية المستقرة منذ أقدم العصور ، ويشمل بلاد العراق والشام بمعناها الأوسع . وأما في الجنوب فهناك عمان وحضرموت واليمن ، وكلها من مواطن المدنية والاستقرار القديم . واليمن وحياة أهلها هي موضوع هذا المقال .

ولا بد لنا إن نحن أردنا أن نتفهم الحياة في بلاد اليمن من أن نتعرف شيئًا عن ظروفها الجغرافية العامة . فالبيئة الجغرافية كما نعرف هي مسرح النشاط البشري . وكثيراً ما تتكيف حياة الناس وأعمالهم بظروف هذا المسرح الطبيعي . ولذلك وجب علينا أن نشير إلى عوامل البيئة الأساسية التي

أثرت ، ولا تزال تؤثر في حياة الناس وتاريخهم في ذلك الركن من الجزيرة العربية .

وتختلف بلاد اليمن عن بقية البلاد العربية بأمر أساسي . أولها أنها هضبة عالية تسببت في الأصل عن انكسار البحر الأحمر وارتفاع حافته في بلاد العرب من جهة ، وفي الحبشة وشرق إفريقيا من جهة أخرى . وكان الارتفاع ظاهراً في بلاد اليمن بصفة خاصة ؛ لأن السطح أضيف إليه طبقات من الالفا والتكوينات البركانية ، التي زادت من سمك الطبقات وارتفاعها . ويتراوح متوسط ارتفاع هضبة اليمن العليا بين ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ متر ، وإن كانت بعض جهاتها ، كنطقة جبل النبي شعيب الواقعة إلى الغرب من صنعاء ، تزيد على ٣٥٠٠ متر ؛ وربما كان هذا الجبل أعلى القمم في بلاد العرب كلها ما عدا بعض الجبال غير المعروفة في بلاد عسير . وقد ترتب على ارتفاع بلاد اليمن أن امتازت بمناخها المعتدل ، رغم أنها تقع في منطقة حارة . فضلاً عن أن هذا الارتفاع أدى إلى ازدياد الأمطار الموسمية الصيفية ، التي تزيد في بعض جهات الهضبة ، لاسيما ركنها الجنوبي الغربي ، على أكثر من ٥٠ سنتيمتراً في العام ، ولا تقل على الجملة في مختلف جهات الهضبة العليا عن ٤٠ سنتيمتراً ؛ وهو قدر يوازي عشر أمثال متوسط الأمطار في الجهات الصحراوية الحارة من شبه الجزيرة ؛ بل هو قدر يكفي لنمو النباتات والأشجار التي تكسو معظم الهضبة ، ما عدا أطرافها الشرقية الداخلية ، حيث يقل المطر ، وما عدا منطقة تهامة ، وهي سهل ساحلي ضيق يمتد على طول شاطئ البحر الأحمر ، ويختلف في مظهره الطبيعي وحياة سكانه عن الهضبة اليمنية بالمعنى الصحيح .

وهناك عامل جغرافي آخر ميز اليمن من غيرها من جهات الجزيرة العربية ، وذلك أن معظم صحورها من المواد البركانية التي تسربت من باطن الأرض في شقوق عدة حتى بلغت السطح فغطته بطبقات سميكة مما يسميه الجيولوجيون بالالفا الغطائية ؛ أو التي ظهرت في هيئة برآدين مخروطية الشكل تكونت في آخر الأعصر الجيولوجية ، ولم يزل بعضها ثائراً مضطرباً حتى خلال العصر التاريخي . ولقد تفتت هذه المواد البركانية بفعل العوامل الجوية والأمطار ، فكانت تربة صالحة للزراعة والانبات ، بل صالحة للاحتفاظ بالرطوبة وتغذية

النبات بها ، حتى بعد أن ينقضى موسم المطر . وتلك التربة الغنية تشبه التربة التي توجد في الجهات المقابلة من الهضبة الحبشية ؛ بل تشبه إلى حد ما التربة الغنية التي يجلبها النيل إلى مصر ؛ وفي ذلك يمتاز اليمن من معظم البلاد العربية ، حيث تسود التربة الرملية أو الجيرية أو التربة المتبلورة الجرداء ، ما عدا مناطق قليلة هنا وهناك .

فخصب اليمن وإيناعه وغناه بالنبات والخضرة والخيرات الزراعية يرجع إلى ارتفاعه وكثرة أمطاره وتربته الصالحة . وتلك كلها قد جعلت منه « بلاد العرب السعيدة » كما كان يسميه قدماء الكتاب من الجغرافيين في عهد الرومان . ولقد ساعد على تميزه بصفة خاصة سقوط أمطاره في الصيف أى في الفصل الذي يشتد فيه القيظ وتقسو الطبيعة على ما قد يكون بالأرض من نبات ، فيأتى المطر ليسعف النبات بالماء في الوقت المناسب ؛ وذلك بخلاف الحال في شمال بلاد العرب مثلاً حيث تسقط الأمطار في أشهر الشتاء ، ويمتاز الصيف بارتفاع الحرارة واشتداد الجفاف في آن واحد . فضلاً عن أن التربة في بلاد اليمن كانت كما ذكرنا من النوع الذي يحتفظ بالرطوبة ، ويحتجزها بين ذراته من فصل إلى فصل . ولذلك لم يكن غريباً أن يمتاز هذا الركن المطير الخصيب من الجزيرة العربية بأنه كان موطن حياة زراعية مستقرة منذ أقدم العصور ، تختلف عن تلك الحياة الرعوية المتنقلة ، والتي عرفت عن معظم أنحاء الجزيرة العربية . بل لم يكن غريباً أن يصبح اليمن موطناً للحضارات والمدن القديمة والمستقرة ؛ والتي عرفت منها حتى الآن الحضارات المعينة والسبئية والحمرية . وقد استمرت كلها خلال ما يقرب من ألف وخمسمائة سنة قبل أن يظهر الاسلام ؛ كما بقي اليمن خلال العهد الاسلامي موطناً لحياة متقدمة ، ومدنية لا تقل عما نعرفه من بقية العالم الاسلامي العربي الشامي . وتابع اليمنيون حياتهم ونشاطهم في استغلال بيئتهم وتربة أراضيهم ؛ فاستقروا على فروع الجبال ، وأنشأوا على منحدراتها مدرجات منتظمة تحفظ التربة وتمنع الأمطار من أن تجرفها في انحداها إلى الأودية ، وغرسوا أشجار البن والفاكهة ونباتات الحبوب المختلفة التي أهمها القمح والشعير والذرة ؛ وارتبطت حياتهم بالأرض ارتباطاً قوياً ، واستقرت كل قبيلة من قبائلهم في بقعة من الأرض تتلح تربتها وتستمسك بها وتتخذها مولداً ومستقراً . وبذلك كله

امتازت حياة اليمنيين على مدى العصور بأنها كانت حياة مستوطنة مستقرة متمدنة ، بل كانت حياة قري وحضر أكثر مما هي حياة رعي وتنقل . وكان هناك عامل جغرافي آخر ميز الحياة في بلاد اليمن ؛ ذلك هو موقعها الجغرافي في ركن من الجزيرة العربية ، تحيط به الصحارى والمناطق الجافة الوعرة في الشرق ، أى في اتجاه صحراء الربع الخالى حيث الرمال والكثبان والأرض الملحية الجرداء ؛ وفي الشمال أى في اتجاه بلاد عسير والحجاز حيث تسود الصخور البلورية القديمة وتقل الأمطار كلما اتجهنا بعيداً عن الركن اليمنى . ولقد ساعد موقع بلاد اليمن واختلافها عما جاورها من أرض الجزيرة على أن تحتفظ تلك البلاد بطابع وكيان خاص . فضلاً عن أن وقوعها في أقصى الجنوب الغربى ، وفي مواجهة بلاد الحبشة وشرق إفريقيا قد وجهها توجيهاً خاصاً ، فاتصلت حياتها بالبحر الأحمر وتجارتها منذ أقدم العصور . وكانت تؤلف جزءاً نسميه بلاد بونت ، وهى البلاد القديمة التى اتصل بها قدماء المصريين التى يرى الباحثون أنها تشمل إلى جانب بلاد اليمن بلاد الحبشة والصومال . ولقد توثقت الصلات القديمة بين اليمن وشواطئ أرتريا والحبشة . والثابت الآن أن كثيراً من عناصر اليمن القديمة قد هاجرت إلى شرق إفريقيا واستقرت هناك ؛ وأن الساميين القدماء إنما هاجروا إلى الحبشة وسكنوها عن طريق بلاد اليمن وباب المندب ؛ وأن بعض ملوك اليمن الأقدمين لاسياً في العهد الحميرى قد وسعوا ملكهم في الشواطئ الإفريقية المقابلة ؛ كما أن الأحباش بعد ذلك غزوا اليمن واستقروا حيناً قبل أن يظهر الاسلام . ولا تزال صلات التجارة والثقافة والمهاجرة قوية بين الشواطئ اليمنية والإفريقية على جانبي البحر الأحمر وخليج عدن .

كذلك تمثلت قيمة الموقع الجغرافي لبلاد اليمن في أنها كانت تشرف على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وعلى الصلات البحرية التى تربط بين أهل الشمال والبحر الأبيض المتوسط والمناطق المعتدلة من جهة ، وأهل البحر الأحمر وبحر العرب وما يليهما من المحيط الهندى والمناطق الحارة من جهة أخرى . وكان ذلك الموقع مصدر خير لليمن وموانيه القديمة في الأعصر التى كان اليمن فيها قوياً ، فخرج ملاحوه إلى البحار ونقلوا المتاجر بين الشرق والغرب ، وأفاد اليمن من ذلك إلى حد كبير ، كما حدث في أواخر العهد الإغريقى الرومانى ، وفي

بعض أدوار العهد الاسلامي . ولكن هذا الموقع نفسه كان مصدر بلاء في أعصر ضعف اليمن ، عند ما طمع العالم الخارجي فيه أو في بعض موانيه على الأقل . ولقد حاول الرومان أنفسهم أن يغزوا قلب اليمن ؛ ولكنها كانت غزوة قصيرة محدودة النجاح . كما طمع الغزاة في بعض الموانئ والنقط الساحلية في الأعصر القديمة والحديثة على حد سواء . وكان آخر الأمثلة استقرار البريطانيين في عدن؛ لأنها تقع على طريق الهند وتصلح قاعدة للأسطول في تحكمه وحمايته لطرق التجارة مع الهند من جهة ، ومع شرق إفريقيا من جهة أخرى . كذلك طمع البريطانيون واستقروا في بعض الجزر الهامة التي تواجه سواحل اليمن وأهمها جزيرة بريتم . كما طمع الفرنسيون في نقطة الشيخ سعيد الواقعة في ركن باب المندب اليمني بالذات .



إلى هذه العوامل الجغرافية المختلفة ، والتي لم يكن الموقع الجغرافي إلا واحداً منها ، نستطيع أن نرجع ما امتازت به بلاد اليمن من بقية الأقطار العربية من أنها لم تكن صحراء ولا منطقة بدو ورعاة ؛ وإنما كانت هضبة عالية ، غزيرة الأمطار السيفية غنية التربة ، مكسوة بالنباتات الطبيعية ، يعيش أهلها عيشة الاستقرار يفلحون الأرض وينشئون المدنيت العريقة المستقرة ، ويشرفون من هضبتهم وموانيمهم على طرق النقل والتجارة ، ويهاجر ملاحوهم بعيداً عن بلادهم ، ينقلون معهم ثقافتهم السامية أول الأمر ، ثم ثقافتهم العربية الاسلامية بعد ذلك ، إلى بلاد نائية بعيدة في الشرق الآسيوى الأقصى أو في شرق افريقية .

على أن هذه العوامل الجغرافية قد مرت بلاد اليمن من ناحية أخرى ؛ فأعطتها طابعاً خاصاً من الحياة ، يختلف عما نراه في بقية أرض الجزيرة ؛ بل أضفت عليها شخصية إقليمية متميزة ، تمثلت على الخصوص في ميدان الثقافة . وهى الشخصية التى احتفظ بها اليمن حتى بعد أن دخل إليه الاسلام ، وبعد أن صار للجزيرة العربية كلها دين واحد ولغة واحدة وثقافة موحدة إلى حد كبير . وليس من شك الآن فى أن اليمن قد استطاع بموارده العظيمة وتراثه العريق فى الثقافة أن يؤثر فى بناء الثقافة الاسلامية نفسها قبيل ظهور الاسلام وبعده . ولكن اليمن وقد أعطى بلاد العرب ما أعطى من ألوان الثقافة قبل أن يظهر الاسلام ، أبى فى العهد الاسلامى إلا أن يحتفظ بحياته الخاصة ، وشخصيته التى كانت فى واقع الأمر مستقة من بيئته الجغرافية المميزة ، ومدنيته التى ارتبطت منذ أقدم العصور بتلك البيئة . ولذلك فإن اليمن لم يلبث أن أصبح قاعدة لجماعة الزيديين ومذهبهم الذى اشتق فى الأصل من المذهب الشيعى ، ولكنه سرعان ما اتخذ صبغته الاقليمية الظاهرة ، فأصبح يميز حياة اليمنيين ومذهبهم فى الدين والسياسة حتى يومنا الحاضر .

ولقد نشأ المذهب الزيدى أول ما نشأ فى أوائل القرن الثانى للهجرة ، أى فى أيام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ فأسس مذهبه الذى ينتسب إليه أتباعه الزيديون حتى الآن . وقد توفى فى عام ١٢٢ هجرى وخلفه ، مع فترات انقطاع ، عدد متلاحق فى الأئمة من أهل الشيعة والزيدود من سلالة على رضى الله عنه . واختار أغلب هؤلاء الأئمة بلاد

اليمن مقاماً لهم حتى تركز المذهب وأتباعه في بلاد اليمن ، واقتصرت عليها بالتدريج ؛ وأصبح الزيود في الهضبة اليمنية يختارون إمامهم ويأبىونه ، كما تقضى به الشريعة الإسلامية ، وكاجرى عليه العمل في عهد الخلفاء الراشدين ؛ ويركزون في يديه السلطتين الروحية والمدنية . ولا يزال العمل جارياً على هذا التقليد في بلاد اليمن حتى الآن .

وقد انتشر المذهب الزيدى في بلاد اليمن ، لا سيما المناطق الجبلية العالية منها . ويتبعه الآن أكثر من مليونين ونصف مليون من سكان اليمن الذين يبلغون حوالى ثلاثة ملايين . ويتركز الزيود وتشتد عصبيتهم لمذهبهم في الجهات الجبلية ، لا سيما في شمال اليمن وقلبه . ولكن الزيود أقل تركزاً وأقل استمساكاً بمذهبهم كلما اتجهنا نحو الشرق أو الغرب أو الجنوب . ويتبع باقى سكان اليمن ، ويقدرّون بنحو نصف مليون أو أقل ، المذاهب السنية ، وأهمها مذهب الاسام الشافعى ، الذى ينتشر على الخصوص في منطقة تهامة المنخفضة ، التى تقع على ساحل البحر الأحمر بما فيه ميناء الحديدة ؛ كما يوجد أيضاً في بعض أطراف اليمن الجنوبية الشرقية .

على أن الشئ المهم والطريف أن اختلاف الهضبة اليمنية وتميزها من بقية الجزيرة العربية في الحياة والفكر والثقافة والدين كان فيما يبدو صورة منعكسة من تميزها واختلافها من الناحية الجغرافية الطبيعية ؛ ذلك الاختلاف الذى امتدت آثاره وبرزت نتائجه واضحة جلية في حياة اليمن في العهد الحديث . فلقد امتد سلطان الخلافة العثمانية إلى الشرق العربى كله ؛ ولكنه كان في اليمن ضعيفاً متضائلاً ، رغم ما استازرت به تلك البلاد من غنى وثروة وجودة في الطبيعة والمناخ . ولقد بقيت سلطة الخلافة العثمانية اسمية على اليمن ؛ وكان ذلك بالطبع راجعاً إلى بعد تلك البلاد وصعوبة الوصول إليها عن طريق الحجاز البرى الشاق ، أو عن طريق البحر الأحمر الذى لا تملك تركيا القوة البحرية للإشراف عليه ؛ ولكنه كان راجعاً أيضاً إلى نفور أهل اليمن وهضبتهم من نظام الخلافة السنّى ، واستمساكهم بنظامهم الزيدى بل تعصبهم له . وقد احتفظ أهل اليمن خلال العهد التركى باسمهم الخاص ؛ وإن كان نفوذهم لم يتعد الناحية الروحية ، وبعض شؤون الدنيا في جهات خاصة ومحدودة في هضبة اليمن . وقصة كفاح الاسام الراحل المغفور له يحيى بن حميد الدين هي صورة مصغرة

من كفاح اليمن ليحتفظ بكيانه وشخصيته المميزة ؛ بل ليحتفظ باستقلاله وليسير على طريقته الخاصة مهما اختلف في ذلك عن بقية أجزاء العالم العربي وأقطاره . وقد ولد رحمه الله في صنعاء سنة ١٢٨٦ هجرية أى منذ واحد وثمانين عاماً هجريا ؛ وأخذ فنون العلم والدين بتلك المدينة حتى اضطر أن يهجرها مع والده الامام المنصور بالله محمد بن يحيى في سنة ١٣٠٧ هجرية . ولما توفى المنصور بالله في سنة ١٣٢٢ هجرية بايع العلماء الامام يحيى ، واتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين الامام المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن حميد الدين . وكانت مبايعة الامام يحيى في ظرف تحفهز إلى أن يتزعم الحركة الدينية والقومية في البلاد ضد الأتراك ونظامهم في الخلافة والحكم . فلم يلبث أن ألّب القبائل وجهها من حوله ، وناصب الأتراك العدا ، واستطاع سريعا أن يدخل صنعاء بالذات وأن يستقر بها إلى حين ؛ واضطر الأتراك إلى أن ينقلوا مركز قوتهم ومعسكرهم وسلطانهم إلى قلعة مناخة في الجبال الواقعة إلى الغرب من صنعاء . على أن الأتراك ما لبثوا أن جمعوا قواتهم وأخرجوا الامام من صنعاء ؛ فتراجع نحو الشمال واتخذ مركزه وقاعدته بين الجبال لاسيما حول صعدة في شمال اليمن . حتى إذا ما شبت الحرب العالمية الأولى ، وشغل الأتراك بكفاحهم في الشمال من جهة ، وانقطعت مواصلاتهم في قلب الجزيرة وفي البحر الأحمر الذي يشرف عليه البريطانيون من جهة أخرى ، نجح الامام وأتباعه من الزيود في أن يدخلوا صنعاء مرة أخرى في عام ١٣٣٧ الهجرى أى في أواخر تلك الحرب . ومنذ ذلك الحين مهدت السبيل لأن يستتب الأمر بالتدريج للامام وقواته في المناطق الجبلية والداخلية ، حيث يسود المذهب الزيدى ؛ ثم في المنطقة الساحلية حيث يسود المذهب الشافعى .

ومع ذلك يمكننا أن نقسم جهاد الامام الراحل في سبيل إقامة دولة اليمن الحديثة إلى مراحل ثلاث : أولاها مرحلة الكفاح ضد الأتراك ؛ وقد بدأت بتولية الامام يحيى في أوائل القرن الحالى ، واستمرت حتى أوائل الحرب العالمية الأولى ... وكان ختامها أن طرد الأتراك وحل الامام محلهم على رأس السلطة المدنية المركزية في صنعاء . ولكن الشئ الطريف أن جهاد اليمن في هذه المرحلة كان جهادا قائما بذاته ، ومستقلا إلى حد ظاهر عن جهاد بقية الأقطار العربية ضد سلطان الأتراك ؛ وفي ذلك صورة منعكسة من

شخصية اليمن وقومياتها الجغرافية التي أشرنا إليها . والمرحلة الثانية في الجهاد هي التي فضاها الامام ورجاله وسعاونوه في توحيد البلاد داخليا والقضاء على العناصر المافرة والقبائل التي اعتادت الفوضى والتي أفسدت وحدتها نظم الحكم أيام الأتراك . وقد استمرت هذه المرحلة قرابة خمسة عشر عاما ، جاءت في أعقابها المرحلة الثالثة التي أراد فيها الامام أن يحدد مملكته ، وان ينظم علاقاته بالعالم الخارجي ، وسكن في أضيق نطاق ممكن . وكان الامام في هذه المرحلة ممثلا صادقا لروح اليمن الذي عاش أهله أجيالا متلاحقة خلال العهد التركي بمعزل عن العالم ، بما في ذلك البلاد الاسلامية العربية نفسها . وكان طبيعيا مع ذلك أن يحتك الامام الراحل أول ما احتك ببريطانيا التي كانت قد وطلدت أقدامها خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على سواحل بلاد العرب الجنوبية ، واتخذت عدن قاعدة لأسطولها وميناء لسفنها التي تجرى بالتجارة بينها وبين الهند وشرق إفريقيا ، كما وسعت نفوذها فيما أصبح يعرف بمناطق الحميات ، وهي التي تقع إلى شمال عدن وتمتد إلى أراضي سلطنة لحج وسلطنات حضرموت . ولم يعترف جلالة الامام بنفوذ بريطانيا في تلك المناطق أول الأمر ؛ واستمر الخلاف قائما حتى وقعت بين اليمن وبريطانيا معاهدة صداقة في عام ١٩٣٤ ، نصت المادة الأولى منها على اعتراف بريطانيا « باستقلال جلالة ملك اليمن حضرة الامام ومملكته استقلالاً كاملاً مطلقاً في جميع الأمور مهما كان نوعها » ، كما نصت المادة الثالثة على أن « يؤجل البت في مسألة الحدود الجنوبية اليمنية إلى أن تتم مفاوضات تجرى بينهما قبل انتهاء مدة المعاهدة (٤ سنة) . وإلى أن تتم تلك المفاوضات يقبل الفريقان المتعاقدان الساميان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود في تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة » . وبذلك كان اعتراف بريطانيا باستقلال اليمن في مقابل تسليم اليمن بالحالة الراهنة على الحدود بينه وبين الحميات ، ولو إلى حين . كذلك كان الامام قد عقد معاهدة مع إيطاليا جددتها بعد المعاهدة البريطانية بعامين ؛ وكان قصده أن يوازن بين بريطانيا وتلك الدولة التحفزة ذات المصالح المتكاثرة إذ ذاك في جنوب البحر الأحمر . ولقد توثقت الصلات بعض التوثق بين اليمن وإيطاليا قبل الحرب ، ونجحت إيطاليا في أن توفد ثلاثة مندوبين من الأطباء المشتغلو بالسياسة أقاموا في

صنعاء وتعز إلى أن جاءت الحرب وتغيرت الأمور . كذلك قام خلاف على حدود اليمن الشمالية بين اليمن والمملكة العربية السعودية بسبب إمارة عسير واستلاك واحة نجران التي تعتبر مركزاً من مراكز الاتصال القديم بين اليمن وداخلية البلاد العربية وشرقها . ولقد قامت بالفعل حرب قصيرة لم تلبث لحسن الحظ ، ولما امتاز به العاهلان العربيان العظيمان من حكمة وبصيرة وتقدير صادق ، أن انتهت بمعاهدة سنة ١٩٣٤ ، اعترف فيها اليمن بدخول نجران ضمن الدولة العربية السعودية ، وتم الاتفاق على أن تبدأ الحدود اليمنية بين ميدي وجيزان على الساحل في جنوب عسير .

هكذا انتهت دولة اليمن من تخطيط حدودها ، ولو بصفة مؤقتة ، فيما يختص بحدودها الجنوبية . وكان ينبغي أن تتلو هذه المراحل الثلاث من كفاح اليمن وجلالة الامام الراحل مرحلة رابعة هي مرحلة الاصلاح الداخلي ، والخروج باليمن من أعقاب القرون الوسطى ومفاسد حكم الاتراك ، إلى الحياة العاملة والنهضة التي تجارى العصر الذي نعيش فيه . ولكن جهود اليمن جاءت ضعيفة متباطئة في هذه المرحلة الرابعة ، كما جاءت خطواته متثاقلة مترددة . وكان الجهود الجبارة التي قام بها جلالة الامام الراحل في عهد شبابه وعنفوانه ، لم تترك فضلاً من قوته وإقدامه ليتجه نحو الاصلاح الداخلي ؛ بل كأن حذره وخوفه الشديد على استقلال البلاد من أن يمس شيئاً قد جعله يكتفى من الحياة العالمية بأن يشاهد ما يجري خارج اليمن من بعيد . ولا شك أن تجاربه الطويلة القاسية كانت من وراء حرصه وحذره وتخوفه من مجازاة العالم والاندفاع في التيار الدولي . ولكننا إذ نلتبس المذرة لليمن في حذره وتخوفه ينبغي أن نذكر ان الاستقلال لا يؤق ثماره إلا إذا جاءت في أعقاب نهضة تجدد الحياة بما يتسق والعصر الذي نعيش فيه . وقد انقضى العهد الذي كانت الأم الصغيرة تستطيع فيه أن تتابع حياتها الخاصة من وراء ستر أو من خلف حجاب ؛ كما انقضى العهد الذي كانت الأم التي لم تأخذ بنصيب من الحياة الحديثة تستطيع فيه ان تنطوى على نفسها أو أن تعيش بمعزل عن العالم . وإنما نحن الآن نعيش في عالم تشابكت أجزاؤه وسعت فيه الأم بعضها إلى بعض . وخير لليمن وهو مهد المدنية العريقة ، بل وهو الذي جمع في بيئته الغنية وموقفه الجغرافي الفريد مقومات الحياة الحديثة

الناهضة... خير له أن يخرج إلى النور، وأن يسارع الخطي ليعوض ما فات،
وأن يتصل بالعالم فيتعلم عنه ما ينتقل به وبأبنائه إلى الحياة الجديدة العاملة
المثمرة، وما يؤهله لأن يتبوأ مكانه اللائق به بين أخواته أمم الشرق
العربي الجديد.

رعى الله اليمن! ووفق أبنائه فيما هم مقبلون عليه من جهاد
لا شك طويل!

بليانه مزين